منهج في دراسة أسلوب التقديم والتأخير في الخطاب القرآني

التقديم والتأخير التناصي الإسنادي أنموذجا تطبيقيا

**م.د. تومان غازي حسين**

**الكلية الإسلامية الجامعة/ النجف الأشرف**

**مقدمة:**

الحمد لله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله حدس الفطن، الأول الذي لا غاية له فينتهي، ولا آخر له فينقضي، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد خاتم الرسل وعلى آله وصحبه الميامين الغرر. أما بعد:

فإن التقديم والتأخير من المصطلحات البلاغية الإجرائية المهمة؛ لأنه يدرس ظاهرة أسلوبية انمازت بها النصوص الإبداعية الراقية ذات الاستعمال الخاص للغة، وأعلاها رتبة القرآن الكريم. وتأتي أهميتها من خلال تحديد موقعية عناصر الجملة، التي تتحدد بحسب المقام للتعبير عن المعاني التداولية العميقة، فضلا عن التعبير عن مقام التحسين.

وقد بذل علماؤنا القدماء من نحاة وبلاغيين ومفسرين جهوداً كبيرة في استقراء هذه الظاهرة ورصد أنواعها ووجوه معانيها المختلفة واستنبطوا أغراضها وكشفوا عن بعض أسرارها سعيا إلى معرفة حقيقة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الاختيار النحوي والدلالي.

ولكن هذه العناية أكدت ـ في الأعم الأغلب ـ التقديم والتأخير بجانبه الإسنادي أكثر من غيره، لوضوح القاعدة النحوية التي يبيّن العدول عنها مدى أسلوبية هذه الظاهرة، وقد وفّرها النحو بمباحثه الناضجة منذ صدور كتاب سيبويه(ت180هـ). في حين لم يحظَ التقديم والتأخير بأقسامه الأخرى:(الدلالي والتناصي) بعناية كبيرة، إذ لم نجد لهما مصطلحات محددة وواضحة ولا قواعد تفيد في تحليلهما، إلا بعض الإشارات التي رصدها علماء التفسير وعلماء المتشابه اللفظي، عندما عنت لهم شواهد تتعلق بهذين القسمين، فحاولوا تفسيرهما بالاعتماد على السياق بنوعيه:(اللغوي، والمقامي) فحسب، ولم يضعوا لنا منهجا يفيد في تحليلهما تحليلا علميا واضحا ووافيا يقدّم نتائج مهمة في بيان العمق الدلالي والتداولي.

ولعل علماء المتشابه اللفظي هم الذين رصدوا هذه الأنواع في مصنفاتهم ودرسوها، وأولهم الخطيب الإسكافي(ت420هـ)، ثم الكرماني(ت505هـ)، ثم الغرناطي(ت708هـ)، وقد أفاد منهم الزركشي(ت794هـ) فجاءت له تنظيرات قيّمة للتقديم والتأخير بقسميه:(الدلالي والتناصي). وما يهمنا هنا هو التناص بحصر المعنى بـ(التناص الذاتي) الذي يقع في مؤلفات منشئ واحد، والتركيز على الناحية المنهجية التي لا تكتفي بتبيان المقاطع المنقولة وأماكنها السابقة واللاحقة، بل ينبغي البحث عن كيفية تبنّي النص اللاحق لها والتعديلات التي لحقت بها والوظائف التي أدتها في هذا النص([[1]](#endnote-2))، وهو ما لم يتنبّه له المحدثون لإضافته إلى ما قدمه القدماء. فساروا على خطاهم تنظيراً وتطبيقاً.

من هنا تأتي أهمية مهمة هذا البحث:(منهج في دراسة أسلوب التقديم والتأخير في الخطاب القرآني، التقديم والتأخير التناصي الإسنادي أنموذجا تطبيقيا)، مقسما على مبحثين؛ الأول (التقديم والتأخير، أنواعه ومنهج دراسته)، ويسعى لتأسيس رؤية نظرية جديدة في تقسيم التقديم والتأخير بجمع ما تناثر منه في كتب القدماء، ووضع منهج واضح يحدد موضوعه ومصطلحاته الدقيقة.

أما المبحث الآخر فخصص لدراسة التقديم والتأخير التناصي الإسنادي، وهو صنو التقديم والتأخير التناصي الدلالي، الذي يرعى ترتيب الأشياء دلاليا ومخالفاتها في الترتيب، ومن ذلك ذكر النبيين (موسى وهارون) H بتقديم الأفضل على المفضول في مواضع متعددة من القرآن الكريم، ومخالفة هذه القاعدة في موضع واحد يظهر في قوله تعالى:هَارُونَ وَمُوسَى([[2]](#endnote-3)). وقد أرجئنا بحثه إلى وقت آخر.

في حين يعنى الأول برصد الترتيب القاعدي النحوي المألوف، وخلافه غير المألوف، ومن ذلك قوله تعالى:الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ([[3]](#endnote-4)) الموافقة لقواعد الجملة العربية، و:فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ([[4]](#endnote-5))، بالتركيب المخالف للأولى لفظا ومعنى.

وأخيرا نأمل أن يُكتب لهذا الجهد من التوفيق والسداد ما يشدّ من أزرنا لمواصلة هذا الطريق وما توفقينا إلا بالله العلي العظيم عليه توكلنا وإليه ننيب.

**Abstract**

**Hysteron and Proteron in the Holy Qur`an**

**An Aesthetic Semantic Study**

Our ancient linguists and grammarians had done their best to deal with this phenomena, yet this interest was restricted, in general, to Hysteron and Proteron in its verbal attributive aspect or part. The other Hysteron and Proteron divisions : ( the semantic and textual, did not get a great deal of attention or interest, we do not find terms or rules that could be useful in their analysis save some reference.

 The research is divided into a preface and two topics, the preface is an adjective attempt to establish a new vision in the Hysteron and Proteron divisions. The first topic is devoted to study the textual attributive Hysteron and Proteron which cares for the familiar and un familiar grammatical arrangement. The second topic studies the textual attributive Hysteron and Proteron which cares for the semantic arrangement of things and their non semantic arrangement.

 The research obtains a set of results, the most important ones are the following :-

1- The research suggests a new vision of Hysteron and Proteron division according to clear method and defined terms to be in three parts :- a) the attributive Hysteron and Proteron :- its method is to neglect the grammatical rule or the mind deep structure, b) Hysteron and Proteron in things arrangement: it follows the semantic stylistic and its analysis method involves put a rule upon what is in the language users minds of the logical relations belonging to the real experiences and - c) the textual Hysteron and Proteron :- which resulted from the relation between the verbal context that imitates things arrangement and the verbal context that disagreed with this arrangement, its method is to contrast the stylistic and non stylistic element within duality groups that represents the context according to Revateer.

2- The applied topics reveal the origin of the attributive and semantic arrangement and the disagreement of that origin in the holy Qyr`an subjected to the linguistic as well as situational and pragmatic conditions that could not be revealed by using the methods that adopt the structural aspect alone , represented by the traditional grammar, the pragmatic method should be flowed.

1. () دُرس هذا القسم من التقديم والتأخير في بحث مستقل بعنوان:(التقديم والتأخير في ترتيب الأشياء في القرآن الكريم، دراسة دلالية جمالية). وهو قيد النشر. [↑](#endnote-ref-2)
2. () سورة طه:70. [↑](#endnote-ref-3)
3. () سورة الفاتحة:2. [↑](#endnote-ref-4)
4. () سورة الجاثية:36. [↑](#endnote-ref-5)